ولا تهنوا

ولا تهنــوا أيها المسلمون ولا تيأسوا، فربنــا الله يتولانا كما تولّى أجدادنا، أما تذكـرون كيف كنا قبل الإسلام وكيف أصبحنا بعده؟ كنا قبله رعاة غنم ثم صرنا قــادة أمم، كنا عبــدة أصنام وأهــل أزلام، وحملــة آثام، ومتلبســين بالحرام، ثم صرنــا للعالم فاتحين وللأفكار مجددين، ولمشاعل النور حاملين وفي حكم الشعوب عادلين، لا تهنوا فسـرّ نهضتنا وانتصاراتنا وكرامتنا وعزتنا القرآن، مازال غضًّا طريًّا في صدور أطفالنا وفي أرواح شيوخنا، سوف يبعث فينا الحياة من جديد، إلى مجد تليد ونصر مجيد، كما حصل لعمر وسعد وابن الوليد، ولا تهنوا فالذي بعثنا بالوحـي في مجد الرسالة المحمدية قادر على أن يبعثنا من جديد من نومتنا هذه، فقد كنا قبل الإسلام في آثار الضأن نأكل الميتة ونعتقد في الكواكب ونسلب القوافل ونقطـع الطريق ونغتــال القيم ونذبــح الفضيلة، نعيش كأننا في غابــة في ضلالة وجهالة، نقسم باللات والعزى، نقطع الرحم، نباغت الآمن، ونقاتل المسالم، ونغدر بالمعاهــد، فلما أسلمنا تحــول كل شيء في حياتنا، فصارت قلوبنا مصاحف هدى، وألسنتنا منابر معرفة، وأقلامنا رسل علم، وكلامنا ذكراً وتلاوة، نتوضأ فتفتح لنا أبــواب الجنة، نصلي فتخشع معنا الجبال، نسجــد فتنحني لنا الجبابرة، نحارب فتقاتــل معنــا الملائكة، ندعــو فتهوي أمامنا قــلاع الكفر وثكنــات الباطل ومعاقل الزور، نكبّر فتهتز لنا دواويــن الظَّلَمة، وتُهد صروح الأكاسرة وقصور القياصرة، حملنــا لا إله إلا الله فرحبت بنا الأرض، وحيتنا السمــاء، وهابنا البحر، وصفقت لنا الأنهار، وفُتحت لنا الأقطار، وطُوي في أيدينا الليل والنهار:

سل الصحراء عن أجدادنا:

كـم علـى الـصـحـراء مـن أعـلامـنـا

قـبـلـة الحـــق ومـــهـــوى الـكـوكـبِ

سل ضفاف السند عنا:

وقـفَـتْ تحـيـيـنـا الجـبـالُ جـلالـةً

وتـوقـف الـتـاريـخُ يـكـتـبُ مجـدنـا

سل الشام عنا:

هـتـفـتْ دمـشـق لـنـا وصـفـق نـهـرُهـا

وطـيـورُهـا بـثـنـاء ربـي تـنـشـدُ

سل معاهد القاهرة عن مجدنا:

خطبنا على الأعـوادِ فاهـتزت الرُّبى

وكبر حتى الصخرُ من نصرنا فخرا

سل الأندلس عن عهدنا ووعدنا وجدنا ومجدنا:

صـارت مـسـاجـدُ مـن طـهـرٍ ومـن كـرمٍ

وأصـبـحـت لجـنـودِ الـعـز إيـوانـا

أذّن بلال في أذن الدنيا فخشع الكون، ورتّل أبو موسى القرآن فانقشع الظلام، وروى أبـو هريرة الحديث فأنصت الدهر، وحكم عمـر فاستسلم الطغاة، وجاهد خالد فسحق الكفر وزهق الباطل.

أيهـا المسلمون: لا تهنوا فنحن أكثر الديانات أتباعاً وأكثرها أصقاعاً وبقاعاً، في كل زاويـة مسلـم يسبّـح، وفي كل مسجد مؤمـن يصلي، وعلـى كل منبر موحّد يخطـب، وفي كل رابيـةً داعيةٌ ينصح، ما من مدينة ألا وفيهـا مسجد، ولا قرية إلا وبهـا مصلى، ولا دولة إلا وفيهـا مركز ومعهد، القارّات السـتّ تهتز عند الصلاة بنداء الحق: الله أكبر الله أكبر، البحار، والقفار والديار ترتج بلا إله إلا الله.

أيهـا المسلمـون: إن ضعفنا فما متنا، وإن مرضنا فمـا انتهينا، وإن غُلبنا فما استسلمنـا، مازال بنا رمق الحياة، وبذرة التحـدي، وعنصر الإباء، ووقود الثورة،

وروح النضـال، نحن أهـل الرسالة الخالدة، والقضية العادلـة، والمشروع الرباني الحضـاري، لـولا أن ملأنا السمع والبصر ما اشتغل بنا العـالم، ولولا أننا قادمون مـا خاف منا الآخـر، نحن لسنا جنساً قوميًّـا، ولا حزباً وطنيًّا، ولا فكـراً أرضيًّا، ولا فريقـاً سياسيًّـا، نحن أمة عظيمـة، ذات رسالة كريمة، ومبـادئ قويمة، نحن عرب وعجم، بيض وسود، علماء وعامة، أغنياء وفقراء، نحن ضمير العالم الحي، وبهجة الحياة الدنيا، وأمل الشعوب المستضعفة، نحن جمعية خيرية كبرى، مؤسسة عالمية عظمى، نحن صيحة إنقاذ في ضمير الغيب، وبسمة أمل في فم الدهر، وقبس من نور الله في عالم التيه.

لأننا وحّدنا يوم ألحد غيرنا، وآمنا يوم كفر سوانا، نذنب لكن نتوب، ونخطئ لكن نستغفر، إن عثرنا أقامنا الله، وإن هُزمنا نصرنا الله، وإن ضاقت بنا السُّبل فـرّج الله عنا، فنحـن إلى الله ومع الله وبالله وعلـى الله وفي الله، إلى الله نسير، ومع الله نأنس، وبالله نثق، وعلى الله نتوكل، وفي الله نجاهد، نحن الأمة الخاتمة، خُتمـت بنا الرسـالات، والأمة الوسط صلحت بنا المناهـج، والأمة الشاهدة، نقول كلمـة الفصـل، والأمة المجاهدة، ندوس الباطل، نحن أمـة ابتلانا الله وابتلى بنا، نحـن أمـة الفطرة والقبلـة والملة والسنـة، فالفطرة توحيـد، والقبلة مكـة، والملة إسلام، والسنة اتباع المعصوم، نحن أهل القبلتين والبيعتين والحسنيين والهجرتين والملحمتين، فالقبلتان الكعبة والأقصـى، والبيعتان العقبة والرضوان، والحسنيان النصر أو الشهادة، والهجرتان الحبشة والمدينة، والملحمتان معركة البعثة ومعركة التصفية ضد المسيح الدجال.

نمـوت، ولكن ربنا حي، نذهب ولكن القـرآن موجود، نرحل لكن السنة باقية: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

المسلمون على درجات في التّدين

ينبغي على المسلم أن يكون عادلاً رحيماً؛ فلا يظلم في أحكامه ولا يقسو في أفعاله، وليقبل سائر المسلمين على مستوياتهم بالتّدين؛ فنحن المسلمين في التدين كطلاب الجامعة منهم المقبول والجيد والممتاز، وقد قسَّم القرآن أهل الإيمان إلى ثلاثة مستويات ووعدهم بالرحمة والمغفرة جميعاً، فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾، فالمسلمون منهم العالم الرباني والعابد القانت الخاشع والملتزم بالواجبات التارك للكبائر، ومنهم الظالم لنفسه بارتكاب بعض المنهيات وترك بعض الواجبات، فهم على درجات متفاوتة بالالتزام بالدّين، وهم في حاجة إلى من يدعوهم برحمة ويعاملهم برفق لاختلاف عقولهم ومداركهم وتباين أفكارهم وكثرة الشبهات والشهوات وضعف اليقين والصبر عند الكثير منهم.

وليس بصحيح أن يُقال في المجتمع المسلم: فئة المتدينين أو رجال الدّين؛ لأننا كلنا رجال دين من العلماء والمسؤولين والأطباء والمهندسين والكتّاب والجنود والتجار وغيرهم، فعلى المسلم أن يتعامل مع إخوانه المسلمين ويقبلهم على اختلاف مستوياتهم في التَّدين، وقد كان رسول الهدى ﷺ يعامل المسلمين جميعاً بل عموم الناس بالعدل والحكمة والرفق، وكان يحضر مجلسه كبار الصحابة والأعراب والشعراء والأغنياء والفقراء، بل حضر اليهود والنصارى مجلسه، وأطعمهم ودعاهم بالرفق إلى دينه العظيم، حتى إنك تجد في الصحابة الأمير والعالم والعابد والشاعر والخطيب والمجتهد في التَّدين والمقصّر على مستويات متباينة، ومقصودي من هذا ألا نقصي طائفة داخل المجتمع المسلم؛ لأنها لم تتشاغل بالعلم الشرعي؛ فإن لها حق الإسلام وحرمة الدّين وأخوة لا إله إلا الله، فلا يقال: المتدينون والرياضيون والكتّاب تحت مقصد إضفاء التدين على طائفة واحدة، بل كلهم مسلمون، بل يقال: طلبة العلم والرياضيون والكتّاب وهكذا؛

لأن نصب الحواجز بين أبناء الدّين الواحد على غير سبب شرعي ليس منهجاً صحيحاً. والغلاة من كل طائفة يستثيرون خصومهم ويستفزون من يخالفهم فيُرد عليهم بالمثل من الاستثارة والغلو والتنابز بالألقاب والسب والشتم، فتجد بعض المتديّنين لقلة بضاعته من العلم في خصومة مع مَنْ خالفه من المسلمين حتى في فروع المسائل يرى أنه يجب على المسلمين اتباع رأيه، وتجد بعض غلاة الكتّاب يرد على المتدينين بأبشع الأوصاف وأقبح الألفاظ مما يقسّم المجتمع ويثير في النفوس العداوة والبغضاء.

ولو اتسعت صدورنا وارتفعت هممنا لخاطبنا إخواننا المسلمين بألطف العبارات وأجمل الأساليب؛ فإن الآراء لا تصحح بالسب والشتم، والبراهين لا تعرض بالتهديد والوعيد، لأن الحجة الصادقة الناصعة تكفي بنفسها في إثبات الحق، فرجائي أن نعترف بمستويات التّدين وأن نقبل الناس على علاّتهم، ولا نزكي أنفسنا، والله أعلم بمن اتقى، ولسنا نحن من يحاسب الناس، وليست في أيدينا الرحمة أو العذاب، وليست في جيوبنا مفاتيح الجنة، ونحن لم نخلق الناس، ولم نرزقهم، بل نحن عبيد مثلهم.

وقد يكون بعض الناس ممن لا يشار إليه بالبنان أفضل عند الله ممن اشتهر بالتّدين إما لسريرة صادقة أو عمل خاص متقبّل أو خاتمة حسنة، فادعوا الخليقة بالرفق وعاملوهم بالعدل واشملوهم بالرحمة، وليكن إمامكم في ذلك سيد ولد آدم محمد بن عبدالله ﷺ الذي قال له ربه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾.

حضارة الإنسان قبل حضارة المكان

جميلٌ أن تكون لدينا طرق معبَّدة وشوارع واسعة وحدائق منظّمة، وأجمل من ذلك أن يكون عندنا أمة واعية وشعب مثقف وجيل متعلم موهوب، زراعة الأفكار بأدمغة العباقرة أعظم وأجلّ من زراعة النخيل في البساتين الفيحاء، احترام الذوق العام والاعتناء بالنظام وترتيب شؤون الحياة والتزود من العلم والمعرفة أنفع لنا من نوافير تضخ الماء في الميادين العامة ومن ناطحات سحاب تختال في السماء ومن أبراج عاجيّة تمتطي الجو، إن صناعة الإنسان إنجاز كبير تقوم به الدول المتحضِّرة؛ لأن الاستثمار في الإنسان أغلى وأثمن من الاستثمار في المكان، نحن في الشرق نهتم بالبناء والحيطان والجدران والآثار، وهذا جميل، لكن الأجمل منه الاهتمام بغرس الفضيلة في النفوس والرحمة في الأرواح والمعرفة في الأذهان؛ لأن الإنسان محور الحضارة ونقطة الانطلاق إلى آفاق الرقي والازدهار، ماذا تنفعنا فنادق فارهة وجسور عملاقة وقاعات واسعة مع حشود من الجهلة والمتخلفين الصادّين عن العلم النافع والمعرفة الراقية والخلق الكريم.

إن الإنسان الجاهل الهمجي يخرِّب العمران ويفسد المكان، إن القطيع من الهمجيين الغوغائيين المنحرفين يتحولون حتى في المدن الراقية إلى لصوص وقطّاع طرق ومحاربين وشبكات من المخرّبين ومروجي الأفكار السّامة والأعمال الهدّامة، نريد صناعة بشر بنور الوحي على أرض الرسالة يُسقى بماء الهمة ويُكسى بجلباب الأدب الجميل والسلوك الراقي، تعالَ بإنسان مؤمن متعلّم منظّم مرتّب إلى قريةٍ مبعثرةٍ بالية فسوف يحوّلها إلى روضة أنس ومهرجان معرفة وساحة عمل وإنتاج، وتعالَ بإنسان متخلّفٍ سفيهٍ طائشٍ أهوج بليد إلى حيٍّ راقٍ منظّم مرتبٍ جميل، فسوف يحوّل الحيّ إلى سوق من الضوضاء والهمجيّة وإلى أطلالٍ بالية بفساد ذوقه وقبح نفسه وسوء تصرفه وذميم أفعاله، في العالم العربي تُقام حدائق للحيوان، فيؤتى بأسد من أوغندا وحيّةٍ من كينيا وثعبانٍ من السنغال وفيلٍ من

الهنـد وثـورٍ مـن إسبانيا وبغلٍ من رومانيـا، ثم يُصرف علـى الحديقة ملايين في الغذاء والنظافة والترتيب والحراسـة والدواء والسكن، ولكن الجمهور المتفرج في حاجـة إلى مالٍ يتعلم به وينظف جسمه ويصحـح أفكاره ويغسل ثوبه ويشبع بطنه ويصـرف على أسرته ويعلم أبناءه، ولكن مع الأسف تجد الكثير من هذا الجمهور المتفـرج على الحيـوان المكرم المعتنى به جاهلاً أميّاً محـدود المعرفة ساقط الهمة عديم الذوق!

في الـدول الناميـة المتخلّفـة يُهتـم بالصورة والمظاهـر والظاهـرة الصوتية والقوالـب على حسـاب المضمون والمدنية والرقي والنظام والـذوق العام والمعرفة، وفي الدول المتحضرة يُهتم فيها بالمعاني وقيمة الإنسان وتنمية الفكر وتربية الموهبة وتثقيـف الإنسـان والاهتمـام بالنابغين والتنافـس في الريادة العلميـة، إن العبرة بالسيـف الصارم لا بذنبه الجميل، فلـو ألبست إنساناً جاهلاً منحطاً سفيهاً تاجاً علـى رأسـه ونياشين على أكتافه وأوسمـة على صدره لبقي صفـراً كحاله الأول لا يـزداد إلا انحطاطـاً وضعةً وخفّة، ولـو ألبست عالماً موهوباً منتجـاً عاملاً أسمالاً باليـة وثياباً ممزقـة لبقيت قيمته وجلالـه ورزيته في نفسه ولما ضـره لباسه. وفي الحديـث الصحيح قوله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

يا دعاة الإسلام الزموا الوحي

الأصل في الداعية أن يكون على منهج الأنبياء عليهم السلام في لزوم الوحي والدعوة إلى التوحيد الخالص وتعليم الناس سبيل النجاة في الآخرة، مع توجيههم في أمور دنياهم التوجيه الديني، أما أن يترك الداعية هذا المنهج ويتحول إلى تخصصات أخرى باسم الدعوة إلى الله فهذا خطأ؛ فتجد الكثير من الدعاة تركوا فقه الكتاب والسنة وإصلاح عقائد الناس وتقويم أخلاقهم، وذهبوا إلى حقول إدارة الوقت وفن التعامل مع الآخر واكتساب الأصدقاء وإدارة العلاقات الاجتماعية وفن الخطابة وقضايا الحب والتحدث عن المستحضرات التجميلية والفنون التشكيلية.

وهذه التخصصات لها روّادها والمتخصصون فيها، بل أصبحت هناك دورات تدريبية لكثير من الدعاة برسوم مالية في مشروعات دنيويّة باسم الدعوة إلى الله تحت أسماء اكتساب المهارات وتنمية القدرات وتقوية اللياقات والمواهب، فلا آية ولا حديث ولا كتاب ولا سنة، وأنا أعرف أن ديننا الإسلامي هو للدنيا والآخرة ولكل شؤون الحياة، لكن هناك مسلمين قائمين بهذه التخصصات؛ لأنهم قضوا حياتهم في تعلمها كالمهندس والطبيب والصيدلي والعسكري والمزارع والنجار والخياط والبنّاء وغيرهم، فيأتي الداعية فيترك تخصصه الشرعي في تعليم الناس ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة وإصلاح عقائدهم وتهذيب أخلاقهم، يترك هذا ويذهب يزاحم أهل التخصصات الأخرى، فيدخل في دورات ليس له فيها علم، ولم يدرسها أصلاً ولكن ركوباً للموجة، وموافقة للموضة، واستفادة من الشهرة، تحت مفهوم أن الشريعة فيها صلاح كل شأن وتقويم كل اعوجاج، وهو كلام صحيح، ولكن تطبيقه من الدعاة خطأ، فأصبح بعضهم يجيب على الهواء مباشرة عن مسائل الحلال والحرام، والشؤون العسكرية، والسلم والحرب، والاقتصاد والتجارة، والأسهم والبنوك والبورصة، والعلاقات الدولية، والزلازل

والبراكين، والكوارث الطبيعيّة، والمحاصيل الزراعية، وأزمة الغذاء، والماء والهواء والبطالة، وتحسين الأجور، والعمل والعمال، والتاريخ والجغرافيا، والطب الشرعي والطب البديل، وعلم النفس والاجتماع والفلسفة، والمشاركة في بعض الاكتشافات والاختراعات والكيمياء والفيزياء والسيمياء، فلا يعرف الاعتذار من أي جواب، ولا قول: لا أدري، وكأن الله جمع فيه علم الشافعي والبخاري وابن سينا وابن خلدون والمتنبي والغزالي وشكسبير، فله إلمام بكل شيء، واطلاع على كل شيء بلا حدود ولا قيود ولا ضوابط، وأغلبها كلام في كلام، ونقطة من هنا ونقطة من هناك، المهم أن عنده مشاركة وهمة وتفاعلاً اجتماعيًّا ودورات تدريبيّة وسكرتارية ولجنة إعلامية، فأين المنهج النبوي الصحيح من لزوم الوحي والتمسك بمنهج الأنبياء عليهم السلام في غرس الإيمان في النفوس وتعليم الناس العبادة والخلق الحسن وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر في سهولة ويسر ورفق وحكمة بلا تشدد ولا تكلّف؟

وانظر إلى سيرة الأئمة من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والمجددين كيف لزموا علم الشريعة ومسائل الإيمان وعلم الحلال والحرام، وتركوا التّشدق والتّفيهق والتّنطع، فبارك الله في جهودهم، ونفع بدعوتهم، واهتدى بعلمهم خَلق كثير، ثم إن هذا اللون الحادث الطارئ من الدعوة ما سمعنا به في آبائنا الأولين، فليس له مثيل ولا شبيه.

فيا دعاة الإسلام، راجعوا أنفسكم، والزموا الوحي، وعودوا للكتاب والسنة، واحترموا التخصصات الأخرى التي ما درستموها، فلها أبطالها وجهابذتها، وقد كفوكم تبعتها، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه.

الإسلام والعالمية

الإسلام عالمي من أول وهلة: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ولا بد لحملته ودعاته من الإيمان بفكرة عالمية الإسلام، فيحرص على جمال صورته وتقديمه للعالم في أبهى حُلّة، بحيث يكون إسلاماً محبوباً مقبولاً، إن الإسلام المشوّه الذي قدمه البعض ليس هو الإسلام الجميل الذي أتى به محمد بن عبدالله ﷺ إن إسلامنا دين سلام كما يدل عليه اسمه ودين أمن ودين عدل ودين تسامح لا ظلم فيه ولا قهر ولا عدوان: ﴿ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾. فكيف نقنع العالم بعدالة قضيتنا وسماحة دعوتنا، إذا قدمنا لهم إسلاماً حاداً متشنجاً يهدد أمن الناس وحياتهم، لا بد أن يعيي العالم أن هذا الدين رحمة للإنسانية يدعو إلى حياة آمنة للجميع فيها تعارف وتحاور وتواصل، ولهذا رحَّبت أمم الأرض بالإسلام من أول يوم، ودخل الناس فيه أفواجاً؛ لأنهم وجدوا فيه السلام لأنفسهم، والأمن لحياتهم، والبناء لمستقبلهم، رحَّب به بلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وصهيب الرومي، ومحمد الفاتح التركي، ونور الدين التركماني، وصلاح الدين الأيوبي الكردي، ومحمد إقبال الهندي، ومحمد علي كلاي الأمريكي، فالذي يريد أن يحافظ على صورة الإسلام الجميلة فليحافظ على مقوماته التي بُعث بها الرسول الكريم ﷺ، ومنها التعارف والتواصل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ ومنها فتح الحوار والإقناع ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾.

ومنها عدم الإكراه والقهر بل الحجة والدليل ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ ومنها الاعتراف بإنسانية الإنسان وحقه في الحياة: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ وإن تقديم الإسلام بصورة مشوّهة لهو معضلة كبرى قام بها الجهلة من الغلاة أو الجفاة، وهؤلاء كانوا سبباً في صد الناس عن الإسلام واتهامه ظلماً وعدواناً بأبشع الأوصاف، كما قال المفكر محمد الغزالي: الإسلام قضية عادلة لكن المحامي فاشل، إذاً فنحن في حاجة

إلى محام عن الإسلام عاقل رشيد، وفي حاجة إلى مدعٍ عام حكيم ذكي، أما الأغبياء والحمقى فيحتاجون إلى حجر صحي لمداواتهم حتى يشفيهم الله من أمراضهم النفسية والفكرية، ألا يسأل الإنسان نفسه: ما سرُّ انتشار الإسلام في عشرات السنوات من سور الصين العظيم شرقاً إلى نهر الراين غرباً؟ أليس هذا دليلاً على عالميته وسماحته وجاذبيته؟ إن دول آسيا التي أسلم شعوبها لم يدخلها مقاتل مسلم ولا دبابة ولا صاروخ إنما دخلها تجار صالحون دعوا إلى الإسلام بأخلاقهم وتواضعهم وعدلهم، فاستجاب لهم أهل تلك البلدان، إن مهمتنا كدعاة للإسلام أن نحرص على أن يدخل الناس الجنة بالإسلام، ولو كانوا نصارى أو يهوداً أو بوذيين أو مجوساً، فقضيتنا معهم: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

إن الرسول ﷺ لما أرسل أمير المؤمنين أبا الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقتال اليهود في خيبر قال له: «**ادعوهم إلى لا إله إلا الله وأني رسول الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حُمر النعم**»، إذن ليست المهمة إنهاء الآخر بل إنقاذه من الضلال وليس المطلوب بتعجيله إلى النار، بل إدخاله الجنة بالهداية، إننا في حاجة إلى وقفة تأمل وتعقل أمام قوله ﷺ: «**إنما بُعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**» وأمام قوله: «**بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا**»، لن يستجيب لنا أحد حتى يضمن الأمن والسلام لنفسه ولمستقبله، ولن ينصت لنا أحد حتى نحترم إنسانيته ونعطيه مكانته، الإسلام عالمي ولو أبى الرعاع، والإسلام رحمة ولو كره الغوغاء، والإسلام حياة ولو رفض الغلاة، عمر الإسلام أطول من أعمار المنتسبين إليه، وآفاقه أوسع من آفاق المقصرين عن فهمه، الإسلام جميل لكن لا يبصره أصحاب النظارات السوداء، قال المتنبي:

وَمَن يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَريضٍ
يَجِدْ مُرّاً بِهِ الماءَ الزُلالا

كفى تشويهاً للإسلام

ما ذنب سائق التاكسي الفقير الذي يُذبح كما تُذبح الشاة في شوارع الدار البيضاء والجزائر بحجة الجهاد في سبيل الله؟ ما ذنب الجندي الذي يحرس عمارة بمرتب زهيد يعول أطفالاً ينتظرونه في البيت، ثم يُفجّر في صدره الرصاص بحجة أنه مرتد؟ ما ذنب العامل البسيط ونادل المطعم وموظف الشركة والشيخ الكبير والعجوز الكسيرة والطفل البريء؟ ما الجُرم الذي ارتكبوه حتى تُمزّق أجسامهم بالقنابل بذريعة حماية الإسلام والذَّب عن حياض الملّة؟ الإسلام بريء من هذا العمل الشنيع البشع، الإسلام أشرف من أن ينحط حملتُه إلى هذا المستوى الدنيء الممقوت، الإسلام دين ربّاني عالمي حضاري إنساني أخبر رسوله الأعظم ﷺ أن امرأةً حبست هرةً حتى ماتت، فعذّب الله المرأة بسبب الهرة، الإسلام حرّم الاعتداء حتى في قتال المحاربين، يقول سبحانه: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾.

كان عبدالله بن أُبّي بن سلول رأس المنافقين وحربة غدر في ظهر الرسول ﷺ والصحابة وفعل الأفاعيل ضد المؤمنين، حتى قال الصحابة للرسول ﷺ: ألا نقتله يا رسول الله؟ فقال الرسول ﷺ: لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، يالروعة الكلمة ويالجمال مدلولها، كيف يتحدث العالم أن رسول الهداية الربّانية ونبي الرحمة يقتل مَنْ صاحبه ساعةً من نهار، ولو كان منافقاً بل رأس المنافقين حينها لن يدخل أحدٌ الإسلام، سوف تشوّه صورة الإسلام الجميلة لو حصل من الرسول ﷺ تصفيات جسدية لمن كان معه، فما بالك بمن أتى بسلاحه وقنابله ومتفجراته إلى العزَّل إلى الأبرياء إلى الطفولة إلى الشيخوخة إلى طبقات الضعفاء الكادحين وراء لقمة العيش إلى صفوف المساكين المعذَّبين بقهر الغلاء والوباء والمرض والدّيون، فأتى من يذبحهم بدم بارد ليشوِّه صورة الإسلام الجميلة عبر شاشات الفضائيات ومواقع الإنترنت ويشمت بنا الأعداء ويُضحِك علينا الأمم ويجعل مليار، ونصف المليار مسلم في

موقف لا يُحسدون عليه، خجلنا والله من هذه التصرفات نأسف لهذا العمل الأرعن السفيه، نبرأ إلى الله من هذه الأفعال الشريرة، ونعزّي الأمهات المسلمات في الجزائر والمغرب والعراق وكل بلد أُبتلي بهذه الآفة ونقول لهؤلاء الغلاة: كفى تشويهاً للإسلام، وكفى إساءة لحملته الصادقين، وكفى إضراراً برسالتنا الخالدة، ألا عقل يردع؟ ألا ضمير يستفيق؟ ألا بقية من إسلام؟ ألا ذرة من حياء؟

شاهدتُ عجوزاً في مكان الانفجار تصرخ، وتولول وترفع يديها إلى السماء، وتقول: اللهم، انتقم لنا منهم، شاهدتُ عاملاً بسيطاً يكدح في طلب الرزق قد انفصلت قدمه وسالت دماؤه وهو ينتحب، شاهدتُ فتاة في ريعان العمر تغيّرت معالم وجهها، وذهبت عيناها وأنفها ودماؤها تبلُّ الثرى، الآن يشمت بنا المحتلون الصهاينة واليوم يضحك علينا أعداء الإسلام ويصفّقون طرباً بما فعله السفهاء منّا، كلما قام عقلاؤنا بتصحيح صورة الإسلام ودفع الشّبه عنه قام السفهاء بتشويه هذه الصورة وطمسها، كيف ندعو العالم الآخر للإسلام وهم يشاهدون بعض المنتسبين إليه يفجّرون المطاعم وملاجئ الأيتام والمدارس والمستشفيات ودور الرعاية؟ ويا حسرتاه على من فعل بالإسلام، الدين الخاتم دين الرحمة والعدل والسلام الدّين الذي اعترف بجلالته وسموّه وعالميته حتى أعداؤه، كل يوم نضع أيدينا على قلوبنا خوفاً من تشويه السفهاء وأفاعيل الحمقى وتصرفات الأغبياء، ارفعوا فوّهات البنادق وأغمدوا سيوف الغدر، وضعوا السلاح، فقد سفكتم الدم الحرام، وقتلتم النفس المعصومة، وشوّهتم الدين العظيم، وأبكيتم الأصدقاء وأفرحتم الأعداء وأشمتم بنا أمم الأرض، اخرجوا إلى النور، وأقبِلوا على طلب العلم وصحّحوا مسيرتكم، وعودوا إلى رشدكم، وتعالوا إلى جماعة المسلمين، وادعوا إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وشاركوا في التعليم والبناء ونفع الناس والوقوف مع المساكين وإغاثة الملهوفين، وساهموا في صُنع حضارة الإسلام، فباب التوبة مفتوح وكلنا خطّاء، وخير الخطائين التوابون.

اختطاف المشروع الإسلامي

ما هذه الفتنة العمياء، والداهية الدهياء، التي ضربت في صميم مجتمعاتنا، واجتاحت فئاماً من شبابنا، وحوَّلت سهامهم إلى صدور أهليهم، فأخربوا بيوتهم بأيديهم، فخرَّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا فكشفت أوراقهم، وظهرت مخبآتهم، فيا للفجيعة الفظيعة، وللعمل المشؤوم، والمصير المظلم!

إن المشروع المحمدي كان عنوانه (رحمة للعالمين) كل العالمين، استظل بفيئه الوارف القريب والبعيد، والموافق والمخالف، والبر والفاجر، وكانت الرحمة شعاره ودثاره، حتى قال لأعدائه حين ظفر بهم: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»، ولم يحاكمهم على جرائمهم، ولا كشف أوراق من خططوا لاغتياله في العقبة يوم تبوك، وأبى قتل المنافقين، وهم أحابيل المؤامرة اليهودية على الدولة الناشئة، وأعرض عن غورث بن الحارث وقد شهر السيف صلتاً فوق رأس المصطفى ﷺ، وفتح مكة بعدما امتنعت عليه، فما نصب المشانق ولا أقام المجازر، وما قتل أعمدة الحرب وأركانها، كان قتلى الفتح دون أصابع اليد الواحدة، فصحَّ أنه رحمة، وأن دينه رحمة، وأن شريعته قامت على الرحمة.

وَإِذا رَحِمتَ فَأَنتَ أُمٌّ أَو أَبٌ
هَذانِ في الدُّنيا هُما الرُّحَماءُ

وَإِذا أَخَذتَ العَهدَ أَو أَعطَيتَهُ
فَجَميعُ عَهدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفاءُ

والمشروع المقتفي أثر النبوة يجب أن يكون رحمة وبرًّا، ودعوة وحبًّا، وتأليفاً ولطفاً، وتسامحاً وعفواً.

أمـا العدوانية الباغية التي تأتي على الحرث والنسل، وتقتل القريب والبعيد، وتحمـل السلاح على الآمنين، وتنبذ العهد، وتشـق عصا الطاعة، فهي خروج على الصـف الواحد، تجدّد ما كاد يندرس من صنيع سفهاء الأحلام، حدثاء الأسنان، الذين عوّقـوا مسيرة الفتح، واعترضوا مشروعات التنميـة والبناء، وأربكوا خطة الدعوة، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل.

مَـنِ المستفيد من تدمير المنشآت؟ ومن الرابح من ضرب البنية الاقتصادية؟ ولمصلحة مَنْ تتلقى أجيـال وشعوب رسالة مضلِّلة مفادها أن الإسلام قتل وتدمير وعشوائيـة وعدوان؟ ما هذه الجراءة على حـدود الله وتقحّم المهالك؟ واستحلال الدم الحرام؟ وإهلاك الحرث والنسل؟ والتعرض للحرمات العظيمة في كعبة الله وبيتـه، وفي عباده الصالحين، وفي أهل الأذكار والأسحار، وفي الرُّكَّع السجود، وفي عوام المسلمين المصلين، وفي الصبية البرآء، والحرمات والنساء؟

أي عقـل غرب عن هـؤلاء؟ وأي ضمير مات؟ وكيـف استرخصوا أنفسهم في غـير طائل، وأقدموا على حرب يخوضونها بالباطل، فلا لحق الله رعوا، ولا خوفٌ مـن عقوبتـه وناره ووعيـده دعوا، ما أقبـح الانفصال عن الجماعـة، وخلع السمع والطاعـة، والاعتداد المفرط بالـرأي ولو قاد إلى هوى، واللجـج في الخصومة ولو أدى إلى التلف.

الأمة اليوم في مهبط الوحي تتفيأ ظلال مشروع إسلامي شامل، يبني المجتمع، وينمّـي الاقتصاد، وينشر العلم، ويجمع الشمـل، ويوحِّد الصف، ويسعى للتطوير، ويستوعـب الجميع، ويفتـح أبواب الخير والعمـل والنفع وكل مـن أراد أن يعمل أو يبنـي أو ينجز، وما هو بمعصوم عـن النقص الذي يتطلب الاستدراك والتصحيح والتناصح بين المؤمنين، إن طالباً في صفِّه، أو طبيباً في عيادته، أو جنديّاً في ثكنته، أو خبـيراً في عملـه، أو عامـلاً في حقلـه، أو راعياً لغنمـه، أو امـرأة في بيتها، هم شركاء في إنجاز وعمل صالح فيه مرضاة الله، ونفع لخلقه، وهم أعضاء صالحون

في المشروع الحضاري للإسلام، أما هواة التدمير، ومحترفو التفجير، وأساطين التكفير، فلهم كل السخط من الجميع، والنبذ من الكلّ، وهم شجرة حنظل اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، المشروع الإسلامي رحمة وعدل وتعمير، والمشروع الظلامي عنف ورعب وتدمير، المشروع الإسلامي معه العدل والشرعيّة والأمّة، والمشروع الظلامي معه البغي والعدوان والخروج على الإجماع.

obeikandl.com

الإسلام السياسي في مأزق

أنـا مؤمن والله أن الإسـلام هو الحل عقيدة وحكماً ومنهـج حياة، ولكن على طريقة رسولنا ﷺ وسوف أكون اليوم شجاعاً بدرجة إيصال صوت النصح لإخواني الإسلاميين في الحـركات الإسلامية، وسوف أترك المجاملـة حتى أنتهي من كتابة هـذا المقال، فأقول: ألا يكفينا ما مرَّ بنا مـن تجارب وحوادث دامية مبكية أثمرتها المواجهـة مع الحكام والصدام الدموي معهم دون فهم لسنن التاريخ وتدبر للواقع، لماذا اتجه أهل الإسلام السياسي من إصلاح الفرد والأمة إلى طلب الحكم والحرص على الكرسي بأي ثمن ليحكموا شعوباً جاهلة بالدين (هريانة كحيانة)؟

لماذا نجعل إقامة الخلافة من أهم مطالب الدين ومقاصد الملّة كما قالت الشيعة في الإمامة؟ بل أهم مطالب الدين الإيمان بالله وحده وإفراده بالعبودية واتباع رسوله ﷺ والعمل بطاعته، لماذا نحرص كل الحرص على توليِّ المناصب التي رفضها من هو أتقى وأعلم وأكرم منّا: الثوري، وابن المسيب، والحسن البصري، ومالك، والشافعي، وأبـو حنفية، وأحمد وكل أئمة الإسلام، ما هـذا التصعيد الحاد في الخطاب، وطلب المنازلـة، والحرص على المواجهة، هل نريد زيـادة في التنكيل بنا وذبح أبنائنا وهدم بيوتنـا وتشريـد نسائنا؟ أقول وقلبي مـع الإخوة في فلسطين وهـم يعيشون الحصار والقتـل والتدمـير والتّضييق بل المجاعـة والاجتياح من قبل عدو شريـر مارد أُعطي الفرص من كل الأطراف لممارسة العبث والهوج والتلاعب بدماء المسلمين.

وأنـا لا أطالـب الإسلاميـينّ بسياسـة بعض الأنظمـة العربيـة التـي آثرت الـذّل والخنـوع والتبعيـة مـع المحتـل، إننـي أطالـب الإسلاميـين بسياسـة رسولنـا ﷺ الإمـام القدوة، فإنـه في حال الضعف آثر عـدم المواجهة كما فعل مع المشركـين في مكـة، واهتـم ﷺ بإصلاح النـاس وتربيتهم وتعليمهـم، حتى أخرج جيـلاً راشـداً مثاليّاً، ثم أقام دولة هـي أعظم وأعدل دولة عرفهـا التأريخ، وعلى

الإخـوة في فلسطـين وفي غيرها مـن بلاد الإسـلام ألا يعوّلوا كثـيراً على المواقف الشفويّـة العاطفية المجردة من النفع، التي تنتهي بخطاب مواساة وتضامن يوقعه ألـف عالم إسلامي، فوالله لو كتبت عريضـة دون دعم مالي وعسكري ووقع عليها مئـة عالم مسلم وأذاعتها أشهر قناة فضائية (99) مرّة لما أطعمت هذه العريضة أبنـاء الشعـب الفلسطيني خبزاً من (البقّالة) ولا أسقتهـم كوب ماء، ماذا جنينا مـن المواجهة الدموّية مع النظام في مصـر وسوريا والجزائر وتونس غير السجون والقتل ويتم الأبناء وضياع الأسر وحظر الدعوة والتضييق على العلماء، وكأن بعض الإسلاميين يرون أن الإنسان لن يدخل الجنّة حتى يسجن ويقطّع ظهره في الزنزانة ثم يذبح ويسلخ (بل نسأل الله العفو والعافية).

وفي الحديـث: «**لا تتمنـوا لقـاء العـدو وسلـوا الله العافيـة**»، وقـد ذكر ابن خلـدون في مقدمتـه: إن الطوائـف المحتسبة من أهل العلم مـا قامت على سلطان عـادل أو ظالم إلا كانت الدائرة على تلك الطائفة؛ لأنها جهلت المنهج النبوي على حديـث: «**مـن رأى منكم منكـراً فليغيره بيده فـإن لم يستطـع فبلسانه فإن لم يستطـع فبقلبـه وذلك أضعف الإيمـان**»، فبدل أن تقوم هذه الحركات الإسلامية بالدعـوة النبوية وإصلاح الأمة وتربية الجيل تريد أن تقفز إلى رأس الهرم وتهمل القاعـدة وتواجـه أنظمة ولو أنهـا فاسدة ولكنهـا تملك طوابـير العسكر وجيوش الشرطـة وأسـراب الطائرات وقوافـل الدبابات، بينمـا عنـد الإسلاميين عشرة مراكـز صيفية ومئة خيمـة كشفية، وانظر إلى الإسلاميـيّن في الجزائر وأنا أعلم أن النظـام ظلمهم حقهم لما فـازوا في الانتخابات، كانت طريقتهم في الدعوة غير ناضجـة وكان المطلوب منهم تربيـة الشعب الجزائري الباسل علـى الإيمان؛ لأنه خرج من الاستعمار جاهلاً بدينه وعقيدته، وفي حاجة إلى تربية إسلامية راشدة، ولكـن ترك ذلك كله إلى خطـب رنّانة طنّانة حماسية عاطفيّـة تدعو إلى: النـزال النـزال بـلا علم ولا رويَّة، ثم قامـت المظاهرات والاشتباكات ثـم القتل والتدمير ثـم تمزيق الشعب الجزائري وإزهاق أرواح ربع مليون مسلم حرام الدم، فهل كان

يعـرف الإسلاميّـون أن حكومة الجزائر عندها نصف مليـون من الجيش المدجّج بالسلاح وربع مليون من الدرك الملغم بالقنابل وثكنات من العتاد، بينما ليس عند الإسلاميـيّن إلا ألف كتاب، ومئة مسجد جامع وصحيفـة واحدة، أخرجوا لنا الآن عشـرة علماء كبار من علماء الشريعة يشـار إليهم بالبنان في الجزائر أو تونس أو المغرب أو غيرها.

أفيقـوا أيهـا الإسلاميـون، وحكّموا سياسـة الرسـول ﷺ في دراسة المراحل ومعرفـة الحال والفهم لرسالة الإسلام ومقاصد الشريعة، وأصلحوا الناس وردّوا الشعـوب إلى الإيمـان بـالله واتباع رسولـه ﷺ ودعونا مـن العنتريّـات والغضبة المضريّـة التـي ما قتلت ذبابة بل جـرّت علينا الويلات والمعتقـلات والأزمات، وأنا بالمناسبة أحيي حزب العدالة والتنمية الإسلامي بتركيا، وأنا قد زرت تركيا ثلاث مـرات فوجدته يربي الناس علـى تعاليم الإسلام الصحيـح، وعنده حكمة وصبر وذكاء ودبلوماسيـة وفهم للواقع وفقه بالمناخ الـدولي، فاعتبروا أيها الإسلاميون، وأعيـدوا القـراءة من جديد، وهذه نصيحة مـن أخ ناصح محب: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾.

نعم للإسلام لا للطوائف والمذاهب

زرت أثيوبيا وألقيت محاضـرة بأديس أبابا حضرها جموع من كافة المذاهب والحـركات الإسلاميـة من الأحنـاف والمالكيـة والشافعيـة والحنابلـة والإخوان والتبليـغ والصوفيـة وغيرهم، فقلت للجميـع: أنا لا أدعوكـم إلى مذهب من هذه المذاهـب أو جماعـة من هذه الجماعات، فأنـا لست حنفيًّا ولا مالكيًّـا ولا شافعيًّا ولا حنبليًّـا ولا إخوانيًّـا ولا تبليغيًّا ولا أنتسب لأي مذهب فقهي ولا جماعة إسلامية معينة بل أدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على ما كان عليه أهل بيته وأصحابه رضـوان الله عليهم، ولست معصوماً بـل قد يصدر مني أخطاء، فإذا خالف قولي الكتـاب والسنة فاضربوا بقولي عرض الحائط، فمظلتنا الكبرى جميعاً الإسلام، ورسالتنا التوحيـد، وما فرقتنا إلا هذه المذاهب والحركات والشعارات والأحزاب، فالله سمانا المسلمين ودعانا إلى الاعتصام بحبله وأوجب علينا أخوة الإيمان ونهانا عـن التفرق والاختـلاف لكننا أطعنا الشيطان في التحريش بيننا، فبدأ التعصب الفكـري في عصر انحطاط الدولـة الإسلامية وظهر التقليد المذهبي في وقت فتور الهمـم وانطفاء نور الوحي وهجـر الدليل كتاباً وسنة، ونشـأت جماعات إسلامية وحـركات دعوية وأحـزاب وطنيـة ومناهج فكريـة وطوائف متناحـرة متصارعة أضعفـت وحدة المسلمـين وشتت شملهم ومزقت كلمتهـم وأوهنتهم أمام أعدائهم وأضرت بسمعتهم وخالفت بين قلوبهم فحارب بعضهم بعضاً وقاتلت طائفة منهم طائفة أخـرى واستحكم بينهم العداء وانتشرت البغضـاء وعمّت الشحناء؛ لأنهم تركـوا المنهج الأول والهدي النبوي الكـريم في التمسك بالكتاب والسنة، فابتلاهم الله بالاختلاف والشقاق والفرقة.

وبهـذه المناسبة، فإني أدعـو جميع المسلمين وكل من يتشـرف بحمل: (لا إله إلا الله محمـد رسـول الله) أن يعـود إلى رشده وينبذ التقليـد المذهبي والتعصب الطائفـي، والميول الحزبية، والاغـترار بالشعارات والاستماع لـكل ناعق، بل عليه

أن يعـود إلى الوحـي المنزل وإلى سـيرة النبي المعصوم ﷺ ويحكّـم الشريعة على ظاهره وباطنه وينضوي تحت مظلة السنة النبوية، ويهتدي بهدي خير القرون من الرعيـل الأول الذين زكاهم الله وأثنى عليهـم ورضي عنهم، وليتّقِ المسلم ربه فلا يزيـد في تمزيـق الأمة بالدعوة إلى مذهب أو طائفـة أو جماعة أو حركة أو حزب، بـل عليـه أن يرضى بما رضيه الله لـه ولكل مسلم من اتباع رسولـه الإمام القدوة والأسـوة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

وقـد زرت أكثر مـن ثلاثين دولة فوجـدت أن المسلمين نقلـوا خلافهم المذهبي والطائفـي والفكري إلى بلاد الغرب والشـرق، فالمساجد والمراكز الإسلامية موزعة بـين المذاهب والجماعات والطوائف والحـركات الإسلامية وبلغ من سخف بعضهم وحمقه وطيشه وتهوره أنه استخدم المنبر والمحراب في التشنيع والتحذير من إخوانه المسلمـين من الطوائف والمذاهـب والجماعات الأخرى التي لا توافـق رأيه، فصرنا ضحكـة بين الأمم ونكتة بين الشعوب تلوكنا الألسـن ويسخر منا الآخرون، وبدل أن ننشـر رسالتنا الربانية العالمية الخالدة أصبحنا ننشـر غسيلنا ومآسينا ومصائبنا وبغضاءنـا بـين الأمم فانشغلنـا عن نشـر الإسـلام بمحاربة أهل الإسـلام وتركنا الوحدة الإسلامية إلى الدعوة الحزبية الطائفية المذهبية المقيتة الضيقة، وقد زرت في خلال رحلاتي من دعاني من كل المذاهب والطوائف والجماعات الإسلامية فكنت أدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإلى الوحدة الإسلامية والرابطة الإيمانية ونبذ الخلاف والفرقة والشقاق وأخبرهم بمآسي النـزاع الذي حصل بيننا والتفرقة التي حلت بنـا وكيف توحد غيرنا على اختلاف أعراقه ومذاهبه وتوجهاته واختلفنا نحـن برغم وجود الدين الصحيح معنا والشريعة السمحاء والملة المحمدية المباركة، فصرنـا كالمحامي الفاشل الذي يدافع عن قضيـة عادلة، حرام هذه الفرقة، حرام هذا الاختلاف، حرام هذا التنازع، حرام هذا التصرف الصبياني الطائش العبثي، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾.

متى ننتصر على الشيطـان والهوى والنفس الأمّارة؟ متى نعود عودة صادقة للمنبـع الأول الصافي العذب الزلال؟ منبع: قال الله، وقال رسوله ﷺ، تعالوا أيها المسلمـون، إلى الوحـي المقدس ودعونا مـن آراء الرجال وأفـكار البشر وتوجهات الناس، ونعم، للإسلام ولا، للمذهبية، ولا للطائفية، ولا للحزبية، ولا للتعصب، ولا للتقليـد: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾، كفـى قتالاً، كفى نزاعاً، كفى حقداً، كفى بغضاء، آن الأوان للاتفاق والعناق ونبذ الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق.

الخلافة الإسلامية في غرفة بلندن

حدثني أحد الدعاة المشهورين أنه سمع خطيباً في لندن يخطب خطبة الجمعة في غرفة ضيقة معه مجموعة من الأشخاص وهو يدعو لإقامة الخلافة الإسلامية، قال الداعية: فأخذت أضحك من المشهد، والحقيقة أنه مشهد مضحك مبكٍ، فشخص قليل العلم غريب عن أهله ومجتمعه في غرفة بالأجرة وعاجز هو وإخوانه عن بناء جامع، وهو يحمل إقامة مؤقتة قام ينادي بإقامة الخلافة الإسلامية التي عجزت عن إقامتها دول ومنظمات وجماعات إسلامية، وما أدري ما هذا الحمق الذي تلبّس بهذا الخطيب حتى أنساه نفسه وواقعه وخرج من العالم المشهود إلى عالم الرؤى والأحلام، والواجب عليه أولاً أن يطلب العلم حتى يدعو إلى الله على بصيرة ثم يتكلم فيما ينفع الناس من دعوة إلى الإيمان بالله والخلق النبيل والحكمة والموعظة الحسنة، وقبل أن يدعو إلى إقامة الخلافة عليه أن يؤمّن أجرة الغرفة التي يخطب فيها من دخْل حلال، وعليه أن يصلح وضعه القانوني في البلد الذي يقيم فيه أو فرّ إليه من القمع أو هرب إليه من الفقر أو شرد إليه من الجوع، ثم بعد ذلك ينبغي عليه أن يحسّن صورة الإسلام المشوهة عند الكثير من غير المسلمين، وهذا التحسين يكون بالكلمة الطيبة والخلق الجميل والبسمة الموحية والتصرف السليم والنهج الحكيم.

فالخلافة الإسلامية ليست ورقة مزايدة ولا سلعة مرابحة، فالمسلمون قبل الخلافة وبعدها مأمورون بتوحيد الله واتباع رسوله ﷺ والتآلف والتآخي والرحمة بالناس والرفق بالبشر وإصلاح النفس والمجتمع، وسوف نعبد الله وندعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة قبل الخلافة وقبل المهدي المنتظر، أما إحالة الناس إلى المجهول وإدخالهم في نفق مظلم لا يعلمون نهايته فهذا شأن المهرجين والمحرجين والمروجين، ألا تعجبون من شاب سافر إلى بريطانيا يطلب اللجوء السياسي وليس له مال ولا وظيفة ولا سكن ولا مرتب، فلما أصبح مقطوعاً من شجرة وهو عزب فقير

مشرّد قام في غرفته خطيباً ينادي زملاءه بإقامة الخلافة الإسلامية ونسي أن الأمة الإسلامية أمة المليار ونصف المليار من جاكرتا إلى نواكشوط عجزت عن أن تتفق على قرار واحد حول العراق وفلسطين وأفغانستان؟ ويريد هذا الأخ أن يجمع الأمة من غرفة في شقة في عمارة في شارع في حي من أحياء لندن (والجنون فنون).

إن ممثلي الأمة ينبغي أن يكونوا من الحكماء العقلاء أهل العلم والعمل والحكمة والعطاء والبصيرة والاتزان، أما أهل الجهل والطيش والسفه والحمق فينبغي أن يطلبوا العلم، وأن يتفرغوا لأمورهم المعيشية، فالنجار في نجارته والخباز في مخبزه والعامل في ورشته والفلاح في مزرعته وسوف يُشكرون ويُؤجرون؛ لأنهم أدوا ما عليهم من تكاليف، أما أن يكون منبر الجمعة وحلقة الدرس وشاشة التلفاز لكل من حفظ حديثاً أو قصة أو سالفة أو حكاية فهذا معناه الاستهزاء بعقول الناس والسخرية بأمة الإسلام وتشويه الدّين عند غير أهله.

واعلموا أن العلم والمعرفة تحتاج إلى سنوات طويلة من الجد والمثابرة والعكوف والسهر والبحث والدراسة حتى يَهِن العظم ويشتعل الرأس شيباً، آمل من الشباب أن يتقوا الله في رسالتهم ودينهم وأمتهم، وألّا يعبثوا بالمصطلحات الشرعية، وألّا يجعلوا قضايا الإسلام لعبة، وألّا يُضحِكوا علينا أمم الأرض، وألّا يجعلوا ديننا نكتة يلوكها الحاقدون والمغرضون.

إن الإسلام دين رباني عالمي جاء للعقلاء والأسوياء، جاء يحترم العقل ويطهر الضمير ويصفي الروح ويصلح المجتمع وينشر المعرفة ويبني صروح الفضيلة ويقيم العدل والسلام والإخاء في العالم.

جربوا الاقتصاد الإسلامي

حضر مندوبُ اليمن عبدالله بن يحيى العلوي وكان شاعراً إلى مؤتمر دول عدم الانحياز الذي دعا إليه عبدالناصر ونهرو وتيتو، فرفع مندوب اليمن تقريره إلى إمام اليمن آنذاك أحمد حميد الدين وجعل التقرير في قصيدة، يقول فيها:

والعالم الثالث في نزاعِ
مختلف الأهواء والأطماعِ

فذاك شيوعي يقول: مالي
لدولتي ورأس مالي

وقد دعا إلى اجتماعٍ ناصري
من أجله تيتو وعبدالناصرِ

وفي الوفود غانة غينيّة
أظنها من أسرة غنيّة

تلمحها الأبصار بالتوالي
وبالخصوص من سفير مالي

والقصيدة فيها سخرية وتهكم بالمؤتمر والمجتمعين.

والمقصود أن العالم جرّب في الاقتصاد الاشتراكية، فكدحت الكادحين، وبطحت الجالسين، وأفلست بالاشتراكيين أجمعين، وجرّب العالم الرأسمالية فتضخّمت الملكية الفردية بكل وسيلة غير مشروعه على حساب الأمة، ثم أعلنت الرأسمالية إفلاسها ونعاها أساطينها وبقي الحل الإسلامي في الاقتصاد العالمي الذي دعا إلى العمل به علماء الإسلام والذي شرعه الله على عباده، وهو أعلم سبحانه بمصالحهم ولكنهم يأبون إلا أفكار البشر وأوهام البشر ودساتير البشر:

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ والنظام الاقتصادي في الإسلام صمام أمان للفرد والمجتمع، فهو يقوم على أحقية الفرد في التملك بالطرق المشروعة مهما بلغ ماله خلافاً للاشتراكية، ويحرّم التملك بالطرق الضارة بالناس من ربا وسحت وغرر وغشّ وخداع ونحوها خلافاً للرأسمالية، وضمن للفقير ما يكفيه وهي الزكاة بما يعادل ٢,٥٪ وحثَّ على الصدقة في وجوه الخير.

والعجب أن بعض علماء الاقتصاد في الغرب دعوا إلى تخصيص ٢٪ من الدخل لصالح الطبقات الفقيرة والمسحوقة وتخفيض نسبة الفائدة، وقد سبقهم إلى هذا الإسلام بقرون، فانظر كيف أباح الله البيع وحرّم الربا ودعا إلى الكسب الحلال ونادى بحفظ المال ودعا إلى الصدقة وأوجب الزكاة ومنع الغش، وجاءت النصوص تشجع الاستثمار المباح ونادى ابن عوف رضي الله عنه: «**دلوني على السوق**»، وذهب خليفة المسلمين أبوبكر الصديق رضي الله عنه إلى السوق يبيع ويشتري حتى فرض له الصحابة رضي الله عنهم راتباً من بيت المال فعاد لإدارة الدولة، وعجبي لا ينتهي من بعض أبناء المسلمين الذين يدعون لتقليد الشرق والغرب من اشتراكية ورأسمالية ونسوا شرع الله المطهر، ولكنه التقليد الأعمى، والمهزوم لا يثق بمنهجه، والمحبط لا يرى إلا جدار غرفته، والإمّعَة التابع يحاكي محاكاة الببغاء، حتى إن من أبناء العرب من عقّ الرسالة الخالدة كالماركسي الأحمر، والبعثي الأغبر، والاشتراكي الأنكر، والرأسمالي المدبر، والله أكبر على من طغى وتجبّر.

أيها العالم: جربوا الحل الإسلامي كما جربتم حلولاً أثبت الزمن فشلها؛ لأن شرع الله من أعلى وهي من أسفل، ولأن منهج الله من فوق وهي من تحت، ولأن الرسالة من رب العالمين، وهي من التراب والطين.

العالم مقبل على دمار اقتصادي ولا حلَّ له إلا الحل الإسلامي، وقد حصل دمار قبل هذا عندهم في الأخلاق والأسرة، وأنا أتحدى أن تكون هناك معضلة لا حل لها في الإسلام كبرت أم صغرت، حتى إن كثيراً من المشرعين في الغرب

نـادوا إلى الاستفادة من أحكام الإسلام في العقوبات وأحكام المال وشؤون الأسرة والمرأة، فأين علماؤنا من تقديم رسالة واضحة ودعوة صادقة مقبولة تبين سماحة الإسلام ويسره، ولكنهم مختلفون إلى الآن في رؤية هلال رمضان: هل هو بالحساب أو الرؤية ولهم سنوات؟

أيها العـالم، عندنا حل ربّاني سماوي أتانا بسنـد متصل عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن رب العالمين:

سندٌ كَـأَنَّ عَلَيـهِ مِـن شَمسِ الضُّحى

نـوراً وَمِــن فَلَـقِ الصَـبـاحِ عَـمـودا

المحافظة على الهوية الثقافية

عندنا موجة تسونامي في تغيير هويتنا الثقافية ونسيجنا الاجتماعي ووحدتنا الأسرية والوطنية، ونحن نرحب بكل مسلم يفد إلينا، فالله شرّفنا بالإسلام وجعل بلادنا مهبط الوحي وجعل قبلة المسلمين في أرضنا، ولكن هناك عمالة سائبة وجسماً عقديًّا غريباً من السيخ والهندوس والمانوية والزرادشتية والمزدكية والمجوس عبدة النار أصبحوا يدبون في شوارعنا دبيب النمل، ويخترقون بيوتنا اختراق الخلايا السرطانية للجسم، وهم يشكلون كتائب معبّأة وقت الطلب، وسوف يتحولون مع الزمن إلى جيوش ثائرة إذا أحسّت بالغبن أو القهر، وحينها لا تستطيع الحكومات المركزية أن تدافع عن نفسها، ومن يقرأ التاريخ يجد أن هذا قد حصل كثيراً، فثورة الزنج في بغداد أصلها عمالة دخيلة سائبة غريبة على الدّين والهوية الثقافية، وكذلك ثورة الحشاشين، والمتوكل اُغتيل أصلاً بعدما مكّن الجسم الغريب على الإسلام من تغيير النسيج العقدي للأمة، وانتبه هارون الرشيد للبرامكة وهم يحاولون سرًّا الاستيلاء على زمام الأمور، وأسرّ بعضهم عبادة النار.

وشوارع الخليج العربي تقتضّ بطوابير أصبحت هي السواد الأعظم، وأصبح المواطن بينهم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، بل أصبح كثير من أطفالنا يرطنون بالأردو والبشتو، فبعض دول الخليج الشقيقة التي أصبحت تسابق الزمن في الرقي والازدهار أصبحنا نخاف على هويتها العقدية والثقافية والوطنية بأنها دول طموحة ولكنها فتحت الباب على مصراعيه للوافدين الذين صار لهم كثير من حقوق المواطنة مع ما يحملونه من معتقدات تصادم ديننا تماماً وثقافتنا وأخلاقنا، والواجب علينا أن ننظر إلى المستقبل وأن نفكر في تغير الزمن وتقلّب الدهر وحدوث الأمور الطارئة، فإذا حصل أمر مرعب بسبب هذا الجسم الغريب الوافد والطوفان الجارف الكاسح فلن ينفع الندم، وقد نصح كثير من العلماء والحكماء خلفاء بني العباس بعدم السماح للأفكار المعادية للإسلام بالتغلغل في

الدولـة الإسلامية بواسطة الوجـوه الغريبة المريبة ولكن لم ينفع النصح، فالمأمون مثـلاً مكّن للجهميـة الخراسانية من عاصمة الإسلام فأخـذوا يغيرون السنّة إلى بدعـة والهدايـة إلى ضلالة وتسببوا في قتـل علماء الإسـلام وسجنهم وتركوا في الأمـة فتنة عظيمة بقيت آثارها إلى الآن، ثم أتى خلفاء آخرون أعجبهم ما يسمى (الانفتاح على الآخر) فصاروا هم الضحية وذهبت الدولة.

فيـا حكام الخليج، ويا صنّاع القرار، أنتم قوم شرّفكم اللّه بالإسلام وآباؤكم وأجدادكـم بنوا دولهم على التوحيد ودفعوا دماءهم وأنفسهم رخيصة في سبيل لا إلـه إلا اللّه فكيف يحصل الآن التساهل والتهـاون وغض الطرف وعدم المبالاة في حماية معتقدنا الإسلامي الصحيح وثقافتنا الإسلامية وأخلاقنا الفاضلة النبيلة، وأشقاؤنـا العرب من اليمن ومصر والشام والمغرب العربي أولى من المجوس عبدة النـار وأقرب مـن الهندوس عبدة البقـر وأحب من المانوية عبـدة النور والظلمة، يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. وإذا لم تكن هناك غيرة دينية إسلاميـة فلتكن هنـاك غيرة على الحكم والوطن، وليقدِّر كلٌّ منا احتمالاً وارداً أن هـذه العمالة الهائجة المائجة تخرج عـن طورها يوماً من الأيام لتطالب بحقوقها، وتكـون لها قيـادة ثم تأتي على الأخضر واليابس، وحينهـا سوف يقف معها العالم ومنظمـات حقـوق الإنسان وربما تدخل مجلس الأمن لحمايتهـا، وإذا طال الزمن فقد يصبح المواطن عاملاً عند سيده الوافد كما حصل في بعض دول أوروبا، وأكرر وأقول أيها الخليجيون، أذكركم بقول الشاعر العربي:

أَمَـرتُـهُـمُ أَمـري بِمُـنـعَـرَجِ الـلِـوى
فَلَم يَستَبينوا النُصحَ إِلا ضُحى الغَدِ

وتصـوّروا البيت الخليجي إذا كان السائق هنديًّا والحارس بنغالياً والقهوجي سرلانكيًّا والمربية فلبينية والطباخة إندونيسية، أما الأب فهو مشغول بسهرات لعب الورقـة والعرضات الشعبية، والأم تراجع المستشفيات؛ لتخفيف الوزن، حينها قل:

علـى البيت السلام، وكبِّر عليه أربعاً وصلِّ عليه صلاة الجنازة، وشارك أبا العلاء المعري في قوله:

فيـا مــوْتُ زُرْ إنّ الحـيـاةَ ذَمـيـمَـةٌ
ويـا نَـفْـسُ جِـدّي إنّ دهــرَكِ هــازِلُ

ومـع ذلك عندنا مئات الألـوف من العاطلين عن العمل، لكن كما قال الشاعر عبدالله البردوني: (يمنيّون في المنفى، منفيّون في اليمنِ).

obeikandl.com

السلام عليكم ميثاق شرف

سبقنا العالم بقرون بالدعوة إلى السلام، فشعارنا دائماً (السلام عليكم)، عند اللقاء والوداع، في المسجد والمدرسة والجامعة والطريق والسوق نلقى الملك والعالم والأمير والوزير والتاجر والفقير والكبير والصغير فنقول: (السلام عليكم)، ندخل المجالس والاجتماعات والمحاضرات والمؤتمرات والندوات، فنقول: (السلام عليكم) نبدأ الخطب والدروس والنصائح والوعظ والبيانات فنقول: (السلام عليكم)، إنها ميثاق شرف، وعهد وفاء، وعربون مودة، وعنوان أخوة، وإعلان مصالحة، وإنهاء قطيعة، وبداية صداقة، وتجديد عهد، ودعم ثقة، وعصمة دم، وحفظ نفس، واحترام عرض، وحدها: (السلام عليكم) الجملة المعبرة والكلمة الآسرة، والعبارة الصادقة في زرع السلام والأمن والمحبة بين الناس، وحدها: (السلام عليكم) العبارة المختارة من بين كل العبارات التي نبدأ بها لقاءاتنا، تدخل على أبيك وأمك وابنك وزوجتك وعمك وخالك وصديقك وعدوك فتقول: (السلام عليكم)، إن معناها خذ العهد مني والأمان أن لك السلامة مني على نفسك ودمك ومالك وعرضك، فلا تخف مني، فلن يصيبك ضرر ولن يصل إليك مكروه.

إن شعار: (السلام عليكم) عقد شرعي، ووثيقة اجتماعية، ورسالة ربانية، أتى بها الإسلام قبل ثقافات الأرض، ودساتير الطين، وقوانين التراب: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾، نحن سبقنا العالم في نشر ثقافة السلام والدعوة إلى المحبة، وغرس شجرة الإيمان والأمن، والله سبحانه هو السلام، ومنه السلام، ويعود إليه السلام، وهو الذي سلّم على أنبيائه وعباده الصالحين، وتحية أوليائه يوم يلقونه السلام، وتحية أهل الجنة: (السلام عليكم)، وتحية الملائكة على المؤمنين في الجنة: (السلام عليكم)، فلا يجوز لنا أن نهمل هذه الكلمة، أو نبطل هذا الشعار، أو نستبدل به غيره من الكلمات مهما كانت رقيقة أو جميلة، فلا أرق ولا أجمل من: (السلام عليكم)، ويجب علينا إحياء هذه الكلمة قولاً وعملاً، لفظاً

ومعنـاً، ظاهراً وباطناً، فننشرها في أنفسنـا، بالعفو والمحبة، والصفح والتسامح، ونعلنهـا في كل مكان، ونجعل عبارات المجاملة والترحيـب بعد هذه الكلمة، فكلمة مرحبـاً، أو أهـلاً وسهـلاً، أو صباح الخـير، أو كيف الحال؟ أو غيرهـا، تأتي عند المسلم بعد (السلام عليكم).

وإذا أسقـط المسلـم كلمـة: (السـلام عليكـم) واستبدلها بغيرهـا فقد غير ثقافتـه، وتخلـى عن شعاره وتنكر لهويتـه، ومن جمال هذه الكلمـة أن كبار العالم وزعمـاءه إذا أرادوا أن يحيونـا نحـن المسلمـين قالـوا لنا: (السـلام عليكم)، إن (السـلام عليكم) أنشودة عذبـة، ونغمة جميلة، وقصيدة حلـوة، ومفردة عجيبة آسرة، إنها مفتـاح للقلوب، وبلسم للأرواح، وإشراقـة للنفوس، وصحوة للضمير، يعجبني المسـؤول والعالم والكاتب والشاعر والأديب والمفكـر والفيلسوف إذا قال: (السلام عليكـم)، حينها أشعر برضا وسكينة وطمأنينـة؛ لأنه أمّنني على نفسي ومكانتـي من الكراهيـة والغضب والحقد والأذى والضـرر، ولأنه أشعرني بالأخوة والصداقة وحسن التواصل وجميل التعارف.

أرجـو ألا نسمح لجيلنـا بالتنكّر لعبـارة: (السلام عليكـم)؛ ليجعلوا مكانها كلمـات مستنسخـة عقيمة سقيمة ساذجة باردة لا تقـوم مقامها ولا تحمل روعتها ولا تفي بدلالتها ولا تعبّر عن مقصودها، أرجو ألا نتخلى عن هذه العطية الربانية، والمنحـة الإلهيـة؛ لأن فيها علاجاً لمشكلاتنـا وداءً لأمراضنا النفسيـة، لأننا كلما تغاضبنـا وتهاجرنا وتقاتلنا وتقاطعنـا وتدابرنا سمعنا: (السـلام عليكم) فتعود المحبة والوصل والود، فنتسامح ونتصالح ونتصافح ونتعانق ونتآخى؛ لأن: (السلام عليكـم)، ذكّرتنا بالأخـوة الإنسانية، والمحبة الإيمانيـة، والرابطة الإسلامية، إن أجمل عبارة يمكـن أن يضعها مجلس الأمن في أول لقاءاته هي: (السلام عليكم) وإن أجمل كلمة تكتبها هيئة الأمم المتحدة على مبناها عالية شامخة هي: (السلام عليكم). وأخيراً أقول لكم: (السلام عليكم).